

الفصل الرابع

لمحة عن حياة تميم البرغوثي

ومختارات شعرية

أولاً: لمحة عن حياة تميم البرغوثي.

ثانياً: مختارات شعرية.

أولاً: لمحة عن حياة تميم البرغوثي⁽¹⁾

أطلق على تميم البرغوثي لقب «شاعر القدس»، بعد أن قدم قصيدته «في القدس» خلال مسابقة أمير الشعراء عام 2007 التي أصبحت وقتها قصيدة الشارع ومنحته نجومية وشهرة كبيرة، وعلى إثر ذلك أطلقت الصحف الفلسطينية لقب «شاعر القدس» على تميم البرغوثي، ثم شكلت هذه القصيدة الأساس لعددٍ من الأمسيات الشعرية التي قدمها تميم في رام الله ومسقط وبرلين وفيينا. حمل حرفه هويةً، فتحمل عبء الهويتين المصرية والفلسطينية وكل مواقف الرفض، ترجم الشعر والشاعرية التزاماً بالإنسان وقضاياها أين ما كان، فصار صوته الشعري جواز سفرٍ يجتاز الحدود. الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي الذي برز بعد عام 2003 كقلم شعري هام في العالم العربي، نهل من إرث الأسلاف وفتح آفاق القصيدة على هموم الإنسان المعاصر وتميز بكاريزما في إلقائه الشعري لا تقل عن كاريزما كلماته.

أهم المحطات في حياته

ولد تميم البرغوثي في القاهرة عام 1977 وهو ابن الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي والروائية المصرية رضوى عاشور، وفي نفس الفترة التي ولد فيها تميم كانت الحكومة المصرية قد شرعت بعملية السلام مع إسرائيل، التي انتهت بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد عام 1979، فطرد الرئيس المصري السابق أنور السادات معظم الشخصيات الفلسطينية البارزة آنذاك وكان من ضمنهم الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي، لذلك قضى تميم طفولته في مصر قبل أن تتسنى له العودة إلى فلسطين.

(1) تميم البرغوثي (الموسوعة الحرة)، موجودة على الإنترنت على الرابط التالي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/تميم_البرغوثي

ثم حصل تميم على شهادة بكالوريوس في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية عام 1999 من جامعة القاهرة، كما حصل على ماجستير في تخصص السياسة والعلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية في القاهرة، وعلى شهادة دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة بوسطن في أمريكا عام 2004.

- أول ديوان له وقصيدته الأولى.. باللهجة الفلسطينية المحكية:

نظم تميم أول قصيدة له في سن الثامنة عشرة وهي قصيدة «الله يهديها فلسطين» وكتبها بالعامية الفلسطينية، وفي عام 1999 نشر ديوانه الأول واسمه «ميجنا» وكتبه باللهجة الفلسطينية المحكية وكان عمره حينها 22 عاماً وبعدها بعام نشر مجموعته الثانية واسمها «المنظر» وكتبها باللهجة المحكية المصرية. في عام 2003 عشية الغزو الأمريكي للعراق غادر تميم مصر، لمعارضته الغزو الأمريكي وموقف الحكومة المصرية من الغزو، وأثمرت تجربته السياسية حينها عملين أعطياه شهرةً كبيرةً في العالم العربي وهما «قالولي بتحب مصر» وكتبه باللهجة المصرية المحكية، أما العمل الثاني فهو «مقام عراق» وكتبه تميم باللغة العربية الفصحى، وفي عام 2007 كتب رائعته «في القدس» التي قدمها في مسابقة أمير الشعراء عام 2007.

وبعد سقوط نظام الرئيس المصري السابق حسني مبارك عام 2011 كتب تميم قصيدة «يا مصر هانت ويانت»، ورُددت هذه القصيدة في ميدان التحرير ولحنها وغناها الملحن والمغني المصري مصطفى سعيد.

- ملك تميم الموهبة الشعرية وتعلم التكنيك:

تستند القدرة الشعرية إلى الموهبة والسليقة، كما تستند إلى معرفة تكنيك كتابة الشعر الموزون المتمثل بإتقان علم العروض والبحور الخيلية، وقد لعبت البيئة التي تربى فيها تميم والزمان والمكان؛ دوراً كبيراً في إرساء طابعها على قلمه، حيث عاش طفولته بعيداً عن والده الذي أبعد عن مصر للقدس عام 1977، فصار عند

تميم تفكيرٌ بماهية السلطة التي يمكن أن تبعد طفلاً عن والده، وبدأ يفكر بالقوة التي ستخلصه مما هو فيه.

وفي فترات اللقاء القصيرة التي كانت تجمع تميم بوالده كان يرى والده مريد يقرأ الشعر الفصيح دون أن يقاطعه أحدٌ فكان يدرك أن طبيعة الكلام الذي يقوله والده مختلف عن الكلام العادي فهو ذو موسيقى ومقفى أيضاً، وبعد تفتح وعي تميم بدأ يدرك أن القوة التي كان يبحث عنها سيجدها في اللغة العربية الفصحى ولغة الشعر، فاندفع يكتب الشعر ويتعلم تكنيك كتابته المتمثل بعلم العروض من والده مريد، كما كان لوالدته الروائية الراحلة رضوى عاشور دوراً كبيراً أثناء غياب أبيه تمثل بتعميق انتمائه لفلسطين خلال فترة حياته في القاهرة.

- «تميم البرغوثي شاعرٌ ذو جناحين»:

كتب الشاعر تميم البرغوثي شعراً بالمحكية المصرية والمحكية الفلسطينية وحلق في فضاء القصيدة الفصيحة، فوصفه الشاعر المصري أمين حداد قائلاً: «إن الشاعر تميم البرغوثي متنوع الثقافات كما أن شعره يليق بالفتوحات الإسلامية كفتح مكة والأندلس وبيت المقدس، بالإضافة إلى أنه شاعرٌ ذو جناحين كتب الشعر باللهجتين الفلسطينية والمصرية».

كما وصفه الشاعر المصري بهاء جاهين قائلاً: «يتميز الشاعر تميم البرغوثي عن شعراء جيله بأنه قرأ التراث الكلاسيكي وكتب الشعر الفصيح بالإضافة إلى الشعر المحكي باللهجتين المصرية والفلسطينية».

- لم يفز بلقب الأمير لكنه فاز بالشهرة:

شارك الشاعر تميم البرغوثي بمسابقة أمير الشعراء عام 2007 (وهو برنامج نظّمته لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والإدارية في إمارة دبي) وشارك في المسابقة 35 شاعراً من مختلف أنحاء الوطن العربي تنافسوا على اللقب، قدم تميم عدة قصائد خلال المسابقة وتمكن من الوصول إلى المرحلة الأخيرة من

المسابقة والفوز بالمركز الخامس منها وفقاً للتصويت الذي حصل عليه. ومن أهم القصائد التي قدمها خلال المسابقة قصيدة «ذنوب الموت» وهي من الشعر العمودي وقصيدة «مقام عراق» من ديوانه مقام عراق، أما أشهر قصائده فكانت قصيدة «في القدس» التي منحتة شهرةً كبيرةً في فلسطين والعالم العربي، وجمع تميم في قصيدة «في القدس» بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة، حيث أجراها على بحرین عروضین هما البحر الطویل ويجريه على المقطع العمودي والأول من القصيدة، والبحر الكامل ويجريه على الجزء الآخر من القصيدة وهو من شعر التفعيلة.

اعتمد تميم على السرد حيث كان يقص مشواره إلى القدس ومنعه من الدخول إلى الصلاة في بيت المقدس ثم عودته خائباً، كما استند الشاعر إلى التاريخ وقدم صوراً تدل على العمق التاريخي لمدينة القدس، كقوله في أحد مقاطع القصيدة مشيراً إلى تاريخ مدينة القدس:

«امرر بها واقرأ شواهدَها بكلِّ لغاتِ أهلِ الأرضِ
فيها الزنجُ والإفرنجُ والقفجاقُ والصقلابُ والبُشناقُ
والتار والأتراكُ، أهلُ الله والهلاكُ، والفقراءُ والملاكُ، والفجارُ والنساکُ،
فيها كلُّ من وطئَ الثرى».

ويأخذ تميم القارئ في رحلةٍ إلى القدس بين سطور القصيدة، مصوراً كل ما يمكن رؤيته في المدينة، ما جعل لجنة التحكيم تصفها بأنها مونودراما (مسرحية الشخص الواحد) وتصوير لتفاصيل القدس.

- أهم مؤلفات تميم البرغوثي الشعرية:

تنوعت مؤلفات تميم بين الشعر المكتوب بالمحكية المصرية والمحكية الفلسطينية بالإضافة إلى القصائد التي كتبها بالشعر الفصيح، وأهم مؤلفاته:

- ديوان يا مصر هانت 2011.
ديوان في القدس 2008.
ديوان مقام عراق 2005.
ديوان المنظر 2002.
ديوان ميجنا 1999.

- نادية عيلبوني: «روح عمرو بن كلثوم تخفق في جسد تميم»: (1)

كتبت الصحفية الفلسطينية نادية عيلبوني مقالاً في الحوار المتمدن تنقد فيه أسلوب الشاعر تميم البرغوثي القائم على استرجاع بطولات الأسلاف وأمجادهم، وشبهته بأنه شاعرٌ ماضوي يعيد إنتاج ما كتبه الأسلاف وقالت: «روح عمرو بن كلثوم لا تزال تخفق في جسد الحفيد» وتقصد تميم، وفي لقاءٍ أجره الإعلامي زاهي وهبة مع الشاعر تميم البرغوثي في برنامج بيت القصيد سأله حول رده على ما قالته نادية عيلبوني، فقال تميم: «أنا اختلف مع من يقول ذلك في مفهومي للزمن فأنا لا أنظر للماضي بأنه أكفأ أو أسوأ بل القارئ من يحدد ذلك، فإذا كان ما يسمعه هو الأكفأ فلا يهم إذا كان من الماضي أو الحاضر أو كان شعراً عمودياً أو نثرياً».

ولا بد من الإشارة إلى أن الشاعر تميم البرغوثي قد نوّع في الموضوعات الشعرية؛ لكنه كرس جهده على القضية الفلسطينية؛ وامتاز الشاعر بتنوع أساليبه الشعرية؛ فكتب في شتى الموضوعات (المدح - الرثاء - الوصف - القص) وأضفى على قصائده طابعاً حداثياً حتى باعتماده الشكل القديم؛ كما في قصيدته (تقول الحمامة للعنكبوت):

تقول الحمامة للعنكبوت أخي تذكرني أم نسيت

(1) نادية عيلبوني، مقال في الحوار المتمدن، نقلاً عن الإنترنت.

- ديوان يا مصر هانت 2011.
ديوان في القدس 2008.
ديوان مقام عراق 2005.
ديوان المنظر 2002.
ديوان ميحنا 1999.

- نادية عيلبوني: «روح عمرو بن كلثوم تخفق في جسد تميم»: (1)

كتبت الصحفية الفلسطينية نادية عيلبوني مقالاً في الحوار المتمدن تنقد فيه أسلوب الشاعر تميم البرغوثي القائم على استرجاع بطولات الأسلاف وأمجادهم، وشبهته بأنه شاعرٌ ماضوي يعيد إنتاج ما كتبه الأسلاف وقالت: «روح عمرو بن كلثوم لا تزال تخفق في جسد الحفيد» وتقصّد تميم، وفي لقاء أجراه الإعلامي زاهي وهبة مع الشاعر تميم البرغوثي في برنامج بيت القصيد سأله حول رده على ما قالته نادية عيلبوني، فقال تميم: «أنا اختلف مع من يقول ذلك في مفهومي للزمن فأنا لا أنظر للماضي بأنه أكفأ أو أسوأ بل القارئ من يحدد ذلك، فإذا كان ما يسمعه هو الأكفأ فلا يهم إذا كان من الماضي أو الحاضر أو كان شعراً عمودياً أو نثرياً».

ولا بد من الإشارة إلى أن الشاعر تميم البرغوثي قد نوع في الموضوعات الشعرية؛ لكنه كرس جهده على القضية الفلسطينية؛ وامتاز الشاعر بتنوع أساليبه الشعرية؛ فكتب في شتى الموضوعات (المدح - الرثاء - الوصف - القص) وأضفى على قصائده طابعاً حداثياً حتى باعتماده الشكل القديم؛ كما في قصيدته (نقول الحمامة للعنكبوت):

تقول الحمامة للعنكبوت أخي تذكرني أم نسيّت

(1) نادية غلبوتي، مقال في الحوار المتمدن، نقلاً عن الإنترنت.

عشية ضاقت عليَّ السماء فقلتُ على الرحبِ في الغارِ بيتي
وفي الغارِ شيخانِ لا تعلمين حميتهما يومها أم حميتِ
جنيتانِ إن ينجوا يصبحا أمةً ذات شملٍ جميعٍ شئتِ
أخية هل تذكرين الغريبين ما فعلا بعدنا يا فديتِ

ثم اعتماد الشكل الحداثي في التشكيل كما في قوله:

«يا أخية هل تذكرين

غداةً أناديك هل لك هل لك

أن ندخل الغار أهلي وأهلك

فالغارُ أوسعُ من كل شيء

هو القدرُ الدائري الذي كان قبلي وقبلك

هل لك هل لك

ثم انهمكت لكي تنسجي للغريبين ليلاً حنوناً».

ثم يعاود المزوجة بالرجوع إلى بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ بصياغة قصصية شائقة، كما في قوله:

تقولُ الحمامةُ للعنكبوت أخي تذكرتني أم نسيتِ
لقد طفتُ كالشكِّ كل البلاد وأنت هنا كاليقين بقيتِ
فلم أوتَ علمك مهما علمتُ ولم أرق يوماً إلى ما رقيتِ

وقد اعتمد الشاعر تميم البرغوثي النهج القديم في بث الحماس والحمية في النفوس المعاصرة على شاكلة شعراء الجاهلية الأقدمين؛ الذين تغنوا بأمجاد القبيلة؛ على شاكلة قصيدته (الموت فينا وفيهم الفرع) إذ يقول فيها:

إن سار أهلي فالدهرُ يتبعُ	يشهد أحوالهم ويستمعُ
يأخذ عنهم فن البقاء فقد	زادوا عليه الكثير وابتدعوا
وكلما همَّ أن يقولَ لهم	بأنهم مهزومون ما اقتنعوا
يسيرُ إن ساروا في مظاهرة	في الخلف فيه الإقدام والجزعُ
يكتبُ في دفتر طريقتهم	لعله بالدروس يتنفَّعُ
لو صادف الجمعُ الجيش يقصده	فإنه نحو الجيش يندفعُ

وهكذا؛ تميزت قصائد تميم البرغوثي بمزاوجتها بين الشكليات القديمة والحديث؛ ليؤكد شاعريته في كليهما معاً؛ مما يدل على خصوبة الشعرية وتنوع مؤثراتها في قصائده.

وفي نهاية المطاف؛ نقول:

إن الإشراقات واللمحات الفنية المثيرة لم تغب عن قصائد تميم البرغوثي التي تظهر جلية في مغرياتها ومؤثراتها الفنية؛ فالشاعر امتلك زمام النجومية منذ ظهور قصيدته الأولى؛ ولا نبالغ في قولنا: إن لقصائده باللغة العامية أو اللهجة المحكية إيقاعها الجمالي الخاص؛ لاسيما قصيدته (فلسطيني ممنوع تعيش) التي لاقت استحساناً ورواجاً عربياً محمواً، كما في قوله:

فلسطيني ممنوع تعيش
فلسطيني ممنوع تعيش
قالولك؛ اسكتُ ما تحكيشُ
أنت خلقت للتلطيشُ
للحواجز للمعابر للتفتيشُ

كتبوا على جبينك ينداس
من الضابط للشاويش
فلسطيني ممنوع تعيش
فلسطيني ممنوع ثور
ومش مسموح تكون مقهور
إياك تطالب بحقوقك
أوعك بيوم تشوف النور
ممنوع تجدد هوية
ممنوع تجدد بسبور
فلسطيني وبداك تتعلم
هاي الشغلة ضد الدستور
فلسطيني لازم تتألم
من دون ما يشوفك دكتور
فلسطيني؛ ممنوع تتظلم
ولا يطلع بجناحك ريش
فلسطيني ممنوع تعيش

وفي الختام؛ نقول:

إن لشعر تميم البرغوثي مذاقه الحدائوي بإيقاع كلاسيكي؛ ومظهره الكلاسيكي بإيقاع حدائوي جديد؛ ولهذا تجده حدائوياً مجدداً؛ وتجده كلاسيكياً مجدداً في شكله الشعري وأسلوبه المتطور؛ وهذا ما يحسب له في كلا الأسلوبين؛ ويحسب لقصائده على المستوى الإبداعي.